مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

أكرب الاقتصادية للممالك النصرانية ضدّ ملوك الطوائف في الأندلس خلال القرن (5هـ/11م)

The economic war of the Christian kingdoms against the kings of the reings of the kings in Andalusia during the AH 5 / AD 11th centur

الطالبة زينة جوادة
zina.djouada@univ-biskra.dz
مخبر التغير الاجتماعي والعلاقات العامة في أكجزائر
د. مغنية غرادين
maghnia.gherdaine@univ-biskra.dz
مخبر الدراسات أكحضارية والفكرية بجامعة تلمسان
جامعة بسكرة

تاريخ الإرسال: 2020/05/04 تاريخ القبول: 2022/03/28

الملخـــص:

تهدف هذه الدّراسة إلى تسليط الضوء على أحد الأساليب غير المباشرة للصراع النصراني الإسلامي في الأندلس أين كانت الحرب الاقتصادية التي شنَّتها الممالك النصرانية ضد الأندلس الإسلامية خلال القرن الخامس الهجري واضحة للعيان في استراتيجياتها وتمظهراتها، حيث عُدَّت سلاحًا فعالًا في إضعاف دويلات الطوائف والحدِّ من قدراتها في مواجهتها، فسعت لاحتوائها وفرض سلطانها على الأندلس الإسلامية، لذا

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

فقد تمحورت إشكالية الدارسة في تتبع هذا النوع من الحروب في أسلحتها وصور تطبيقها وكذا انعكاساتها على دويلات الطوائف .

الكلمات المفتاحية: الممالك النصرانية؛ دويلات الطوائف؛ الصراع؛ الحرب الاقتصادية؛ استراتيجية.

Abstract

This study aims to stand at one of the indirect methods of the Christian-Islamic conflict in Andalusia, as the economic war waged by the Christian kingdoms against Islamic Andalusia during the fifth century AH was clear in its strategies and manifestations, as it was considered an effective weapon in weakening the reigns of the kings. and reducing their capabilities in facing them , I worked to contain it and impose its authority on Islamic Andalusia, so the problem of the study focused on tracking this type of war in its weapons, pictures of its application and its repercussions on the reigns of the kings.

Keywords: Christian kingdoms ; reigns of the kings ; conflict ; economic war ; strategy .

1. المقدمـــة:

الدَّارس للتاريخ الإسلامي في الأندلس يجد أن صراعه مع الممالك النصرانية ابتدأ منذ زمن الفتح وتصاعد بمقاومة بلاي[1] وتأسيس إمارة جليقية فيما بعد، واستمرت حتى

[1]– **بلاي أو بلايو أو بلاية (pelayo)**: هو أمير قوطي (وهو بلاي بن الدوق فافيلا، دوق كانتابرية) فرّ مع جماعة من أتباعه إلى أقاصي جليقية، وذكر ابن الخطيب أنه أول من تسمَّى ملكًا بعد الفتح الإسلامي للأندلس لاستحقاقه ذلك، ودام ملكه ثلاث عشر سنة، دخل في صراع مع المسلمين وحقق عليهم انتصارًا في موقعة كوفادونجا وتصطلح المصادر العربية على تسميتها بصخرة بلاي، ينظر: ابن الخطيب، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلّق بذلك من الكلاّم**،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

انقضاء الوجود الإسلامي في الأندلس، غير أن موزاين الصراع شهدت تحولاً حاسمًا خلال القرن الخامس الهجري ببروز ممالك نصرانية في الشمال وانتظام حكمها، وبالمقابل كانت الأندلس تعيش أوضاعًا سياسة مربكة عقب الفتنة التي عرفتها على رأس (400هـ/1009 م) مما أدَّى بها إلى إنهاء الخلافة الأموية عام (422هـ/1030م) وتشكل كيانات سياسية اصطلح عليها ب"دويلات الطوائف" الأمر الذي أدَّى إلى تطاول الممالك النصرانية على الأندلس والسعي لاحتوائها بطرق وخطط شتَّى على رأسها "الحرب الاقتصادية" التي تتكامل مع حروبهم السياسية والدينية، وهي مجال خصب للبحث والتنقيب في مستويات الصراع وأشكاله وكذا وسائل تطبيقه، ومن هنا كان لنا طرح إشكاليّة رئيسية مفادها: إلى أي مدى ساهمت الحرب الاقتصادية في ترجيح كفة الصراع الإسلامي النصراني في الأندلس؟. وانبثقت عنها تساؤلات فرعية منها:

– ما مفهوم الحرب الاقتصادية ؟.

– ما أبرز الوسائل التي استخدمتها الممالك النصرانية في هذا النوع من الحروب ضد دويلات الطوائف؟

– هل تبنوا في حربهم هذه خُطط محددة، واضحة الأبعاد والأهداف؟.

– وما أهم انعكاسات هذا النوع من الحروب ونتائجه على دويلات الطوائف؟

وعمدنا لإثراء موضوعنا الاستعانة بالمنهج التاريخي، والمنهج الاستدلالي، الاستقرائي، الإحصائي، وكذا التحليلي حسب ما تقتضيه حاجة الدّراسة وانتهجنا خطة بحث مهيكلة على الشكل الآتي:

د.ط، ج2، تح سيّد كسّروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص/277–278، حسين مؤنس، **بلاي وميلاد أشتريس وقيام حركة المقاومة النصرانية في شمال إسبانيا**، مجلة كليّة الآداب، مج11، ج1، جامعة فؤاد الأول، مصر، مايو 1949، ص/57–83.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

1. **مقدمة:**

2. **مفهوم الحرب الاقتصادية .**

3. **المؤهلات الاقتصادية لملوك الطوائف.**

4. **الأسلحة (الوسائل) المستخدمة في الحروب الاقتصادية للممالك النصرانية ضد ملوك الطوائف.**

41. المقاطعة الاقتصادية.

42. الحصار العسكري والاقتصادي.

5. **صور وخُطط الحرب الاقتصادية .**

1.5 إغراق دول الطوائف في الأزمات المالية.

2.5 افتعال الحروب بين دويلات ملوك الطوائف المستهدفة بالحرب الاقتصادية وتطبيق سياسة الحماية
العسكرية.

6. **النتائج المترتبة عن الحروب الاقتصادية للمالك النصرانية ضد دويلات الطوائف في الأندلس.**

1.6 على المستوى السياسي.

2.6 على المستوى الاجتماعي والاقتصادي.

7. خاتمة.

2. مفهوم الحرب الاقتصادية .

لجأ أحد الباحثين إلى تعريفها بالقول: "أنها مجموعات التدابير السياسية والاقتصادية والعسكرية التي تتخذ عند التهديد بالحرب أو اشتعال الحرب فعلاً، لتحسين

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

العلاقات التجارية الخارجية وضمان استمرار الحصول على الموارد اللاّزمة لدعم الاقتصاد الوطني، وبنفس الوقت السعي لحرمان العدّو من الحصول على الموارد الاستراتيجية لإضعاف مقاومته، والتقليل من قدرته على الصمود، وتدمير منشآته الاقتصادية لإرباك الخصم وإجباره على التّخلي عن مواصلة الحرب بطريقة تحقق أهدافنا"[1].

ويُفهم من خلال التعريف أن الحرب الاقتصادية لا تقتصر فقط على المجال الاقتصادي، بل تتعداه لتشمل الجانب السياسي والعسكري، ويتم ذلك باللّجوء إلى عدّة آليات واستراتيجيات من شأنها تثبيط العدو وتحطيمه، والتي سنسعى إلى إيضاحها فيما بعد، كما يمكن أن نصطلح على الحرب الاقتصادية بحرب الاستنزاف التي يكون هدفها الأساسي استنزاف خيرات وموارد العدّو، مما يساهم في إرهاقه داخليًا، لتنهار تبعا لها جبهته العسكرية، والضبط السياسي للدولة المستهدفة بالحرب.

هذا وإذا ما جئنا لتتبع مرجعية الحرب الاقتصادية فنجدها قديمة النشأة وكانت مرافقة لظهور الحرب بين الجماعات الإنسانية، ولجأت لتطبيق عدّة خطط لذلك، منها الحول بين العدّو ومصادر المياه وكذا الحصار للحصون والمدن والقلاع، حتى يتزل أهلها على شروط التسليم، ويُعد الحصار البحري من أقدم أساليب الحروب الاقتصادية وذلك بضرب الحصار حول موانئ العدو وحرمانه من التجارة مع باقي المناطق الأخرى أو اللّجوء إلى استهداف طرق النقل البري وتجارة العدّو للحدّ من قدراته وقطع موارد تموينه[2].

[1]– غازي بن سالم بن ساقي الحربي، **اقتصاديات الحرب في الإسلام**، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1989، ص/254–255.

[2]– غازي بن سالم بن ساقي الحربي، المرجع السابق، ص/254.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

ولنا في السيرة النبوية نماذج واضحة لهذا النوع من الحروب، فقد تعرض النبي – صلى الله عليه وسلم – ومن آمن به في بداية الدَّعوة لحصار اجتماعي واقتصادي شنَّتْهُ قريش لقتل الدعوة الإسلامية في مهدها فاتفقت على مقاطعة بني هاشم، وبني عبد المطلب وقد استمرت هذه المقاطعة سنتين أو ثلاثا[1]، كما تبنى –صلى الله عليه وسلم – كقائد عسكري بفكره الاستراتيجي هذا النوع من الحروب فقد كان يُرسل عدة دوريات بهدف تهديد تجارة قريش، وتُعد معركة (غزوة) بدر الكبرى تمخضًا للتهديدات التي شنَّها المسلمون على تجارة قريش نظرًا لموقع يثرب وسيطرتها على طرق التِّجارة، منها اعتراض المسلمون للقافلة التي كانت تحت قيادة أبي سفيان غير أنها نجت، إلاَّ أنهم تمكنوا من قوافل أخرى فيما بعد كالقافلة التي أرسلها صفوان بن أمية في تجارة إلى سوريا، على طريق غير طرقهم المعتادة، فأخرج النبي – صلى الله عليه وسلم –قوة عسكرية بقيادة زيد بن حارثة فغنموا القافلة بأكملها، ولجأ المسلمون أيضا في معركة بدر في السنة الثانية للهجرة إلى تغوير المياه لحرمان قريش من هذا المورد والإبقاء فقط على ما يسد حاجة المسلمين، كأحد وجوه الحرب الاقتصادية، لما لها من تداعيات في أداء المعركة[2].

3. المؤهلات الاقتصادية لملوك الطوائف.

[1]– خالد بن عبد الله الشمراني، **المقاطعة الاقتصادية حقيقتها وحكمها**، ط1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1426هـ، ص/ 16.

[2]– فهد خليل زايد، **عبقرية الانتصار في المعارك وفتح الأمصار**، ط1، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمّان، 2013، عمان، 2013، ص /11، 13، 17، 18، 27، 51.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس سنة(422ه/1030م) ورث ملوك الطوائف ليس فقط الاستقلال السياسي في المناطق التي انفردوا بها[1]، بل أيضا ثروة البلاد المادية واقتصادها، والمتتبع لمصادر المرحلة يتبيّن له أن للموقع الجغرافي الذي شغلته الأندلس باعتدال مناخها، ووفرة مياهها، وخصوبة أراضيها، كان له أكبر الأثر في رخائها الاقتصادي خلال القرن (4هـ–10م)[2]، ومصادر الثروة والنفوذ التّي تملكها ملوك الطوائف خلال القرن (5هـ–11م)، والموّجه للحرب الاقتصادية التي شنَّتها الممالك النصرانية خلال ذات القرن، والظاهر أن الأندلس كانت محظوظة من حيث الموارد البشرية والمادية مُقارنة مع الشمال المسيحي[3] مما أكسبها مؤهلات اقتصادية قلَّ أن تجدها في بلاد أخرى فامتازت بوفرة الإنتاج، نتيجة ميل الأندلسيين للنشاط الفلاحي، وفي ذلك يقول ابن خلدون (ت808هـ/1406م): "وهم أكثر المعمور فلحًا وأقومهم عليه

[1]– المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح محمد سعيد عريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتّحدة، د.ت، ص/146.

[2]– البكري، **المسالك والممالك**، تح أدريان فان ليُوفن وأندري فيري، ج2، دار الغرب الإسلامي، د.ب، ص/ 894، راجع أيضا: رابح رمضان، **النشاط التجاري بالأندلس خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الملاديين**، جامعة وهران السانية، 2007– 2008م، ص/33.

[3]– أمحمد بن عبود، **جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري**، المعهد الجامعي للبحث العلمي، تطوان، 1987، ص/ 92.و لعلّ هذا الجانب ما يُظهره الحميري في حديثه عن بَنْبَلُونة "بها دار مملكة غرْسية بن شانجة سنة 330هـ، وهي جبال شاهقة، وشعاب غامضة، قليلة الخيرات، أهلها فقراء، جاعة لصوص"، أنظر الحميري، **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، ط2، دار الجيل، بيروت، 1988، ص/55 – 57.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

وقلّ أن يخلوا منهم سلطان أو سُوقة عن فدّان أو مزرعة أو فلح"[1]، كما أكدت كتب الحسبة على أهمية الفلح ودعت الحاكم للعناية بمن يقومون على هذا النشاط، "فالفلاحة هي العمران، ومنها العيش كلّه، والصلاح جلّه وفي الحنطة تذهب النفوس والأموال وبها تملك المدائن والرجال وببطالتها تفسد الأحوال"[2]، لذا كان الأندلسيين أحكم الناس وأعرفهم بشؤون الفلاحة، وما التصانيف العلمية التي دونوها في هذا الشأن إلاَّ دليلاً يشهد بذلك [3].

ومما ساعد على ازدهار النشاط الفلاحي هو وفرة المياه بالأندلس كما أشرنا آنفا، إذ ليس هناك مدينة إلا على نهر أو بمقربة منه[4]، وكذا تطوير منظومة الرّي التي كان لها

[1]– **المقدمة**، مرا سهيل زكار، دار الفكر، للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2001، ص/ 455.وقد أشار عبد الله بن بلكين في مذكراته أنه قام بإعطاء أخيه تميم قامرة من الحصون الغربية في مالقة "بلد الزرع ليتّسع فيها للحرث"، راجع: عبد الله ابن بلكين، **مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك غرناطة (المسماة بكتاب التبيّان)**، تح إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1955، ص/94.

[2]– **ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب**، تح إ.ليفي بروفنسال، مج 2، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، د.ت، ص/5.

[3]– المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح إحسان عباس، مج 3، دار صادر، بيروت، 1988، ص/151.

[4]– الزهري، **الجغرافية**، تح محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدّينية، القاهرة، د.ت، ص/104، أشار الزهري إلى هذه الأنهار بقوله: "أما أنهار الأندلس فإنها كثيرة، فأعظمها وادي إبْرُه، وممّا يليه لناحية المغرب نهر شقورَه، ومما يليه لناحية المغرب نهر تندار، فهذه الأنهار تقع جميعها في بحر الروم، وأما أنهار الشمال من الأندلس ومنها نهر تاجة الهابط على طليطلة، ووادي يانة الهابط على قلعة رباح إلى بطليوس إلى أن يقع في البحر الأعظم، والوادي الكبير الهابط على قُرطبة إلى إشبيلية من جبل شُلَير،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

دور فعال في استصلاح الأراضي وزيادة الإنتاج[1]، فاشتهرت بلنسية بإنتاج الزعفران والأرز والذي كان يحمل منه إلى باقي بلاد الأندلس، وكذا شاطبة التي عُرفت بوفرة محاصيلها وثروتها الحيوانية، فكان التُّجار يتجهزون بأمتعتها إلى بلاد السودان والمغرب، أما جبل الشرف بإشبيلية فهو مُغترس الزيتون، وكان زيته مما يصدر إلى المشرق، كما عرفت اشبيلية بزراعة القطن الذي يصلح ويزكوا في أرضها، وكانت إفريقية من المناطق التي يحمل لها هذا المنتوج[2].

وفي جبل إلبيرة الكتَّان والحرير، أما قرطبة فقد اشتهرت بقمحها وشعيرها، في حين أن طليطلة حنطتها لا تتغير عند تخزينها بطول السنين[3]، وكذلك كانت غرناطة كثيرة القمح والشعير والكتّان وكذا الكروم والحرير والزيتون وسائر أنواع الفواكه[4].

ووادي شنيل الهابط على مدينة غرناطة ويقع في الوادي الكبير ووادي لكة الهابط من تاكرونة إلى أن يقع في البحر الأعظم"، راجع، ص/ 140.

[1]– حسن محمد قرني، **المجتمع الريفي في الأندلس في عصر بني أمية (138–422هـ/756–1031م)**، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2012، ص/104 وما بعدها.

[2]– ابن الدَّلائي، **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك**، تح عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، د.ت، ص/ 17، 18، 19، 95 – 96. أنظر أيضا: الحميري، المصدر السابق، ص/ 19، 32. ابن كردبوس وابن الشباط، **تاريخ الأندلس لإبن كردبوس ووصفه لإبن الشَّباط – نصان جديدان –**، تح أحمد مختار العبادي، معهد الدّراسات الإسلامية، مدريد، 1971، ص/ 138 – 139.

[3]– البكري، المصدر السابق، ص/895–896، 907.

[4]– ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، مج1، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973، ص/109، . راجع أيضا: المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط2، دار صادر، بيروت، 1906، ص/335.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

وعلى كل فبلاد الأندلس كثيرة الخيرات، طيبة البقعة[1]، وتشترك في هذه الحال الكثير من مُدنها، وما أشرنا إليه سالفًا إلاَّ على سبيل الإشارة والاستئناس. أما المؤشر الصناعي فإنه انتفع بما حقق على المستوى الزراعي علاوة على غنى الأندلس بالثروة الحيوانية[2] وكذا المعدنية التي نبّهت مصادر المرحلة لها كالياقوت واللؤلؤ والقصدير والكبريت الأحمر[3] وكذا الذهب والفضة والنّحاس والرصاص والزّئبق واللاّزورد، والشّب[4]، ونتيجة لذلك فقط تعددت صناعتها[5] مما أدّى بدوره إلى انتعاش النشاط التجاري وكانت دول الطوائف ذات الثغور كإشبيلية وألمرية وبلنسية ودانية وسرقسطة تجني من التجارة الخارجية أرباحا طائلة[6] حيث كانت السفن تقصدها من بلاد المغرب[7] والمشرق والثغور والثغور الإيطالية محملة بالسلع، ثم تعود مشحونة بالسلع الأندلسية على اختلاف ضروبها[8]، فكانت المرية على سبيل الذكر "ميناء لمراكب التّجار من مسلم وكافر"[1].

[1]– الحميري، المصدر السابق، ص/4.

[2]– الزهري، المصدر السابق، ص/ 82، 83، 128، 129، الحميري، المصدر السابق، ص/ 132 – 133، 145.

[3]– البكري، المصدر السابق، ص/ 897 – 898.

[4]– المصدر نفسه، ص/897 – 898.للوقوف أكثر على المعادن التي تواجدت بالأندلس، راجع المقري، المصدر السابق، مج1، ص/ 142 – 143.

[5]– ابن الدلائي، المصدر السابق، ص/9.الحميري، المصدر السابق، ص/170.المقري، المصدر السابق، مج1، ص/162، 159، 166، 201.

[6]– محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ص/ 422.

[7]– الزهري، المصدر السابق، ص/128.الحميري، المصدر السابق، ص/32.

[8] – محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص/ 422.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

ومما ينهض دَليلاً على وفرة خيرات الأندلس أن مجاهد العامري (400–436هـ/1009– 1044م) صاحب دانية أرسل عام (447هـ/ 1055م) مركبًا كبيرًا محملا بالمؤن والأطعمة إلى مصر لإغاثتهم في أزمتهم، فعادت المراكب إليه مملوءة ياقوتًا وجواهر[2]، لكن هذا لا يعني عدم تقلص القطاع الاقتصادي وموارده ولا يمكن قياسه على كافة المدن الأندلسية نتيجة الفتنة التي عاشتها الأندلس والتي محت الكثير من محاسنها وأذهبت خيراتها وأشار ابن حيان (ت469هـ/1072م) إلى ذلك في حديثه عن قصبة باجة: "تعطلت في ذلك الأوان بسبب فتنة البرابرة وخربت على قدم بنائها في الجاهلية، واتصال عمرانها في الإسلام ومكانها من طيب الميرة واتّساع الخطة"[3] وهو نفس ما أفادنا به البكري (ت487هـ/1094م)فبعد ذكره لخيرات الأندلس استدرك ذلك بالقول: "عقب الفتنة التي كانت على رأس أربعمائة من الهجرة واستمرت إلى وقتنا هذا وهو سنة ستّين وأربعمائة عفت آثار هذه القرى وغيّرت رسوم ذلك العمران، فصار

[1]– المقري، المصدر السابق، ج3، ص/571.أشار المقري إلى ذلك عند حديثه عن أبي عبد الله ابن إبراهيم الحجاري الذي قصد المعتمد بن عباد في معركة الزلاقة فمدحه، فأعطاه المعتمد نظير ذلك خادما، فانتقل به إلى المرية كونها بلد التجارة فتاجر فيها وبقي هناك، وأشار أنها محط تجارة للمسلم والكافر بمعنى النصارى.

[2]– ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح ومرا ج.س .كولان وإليفي بروفنسال، ج3، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ص/ 228 – 229.

[3]– ابن بسام، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تح إحسان عباس، ق2، مج 1، دار الثقافة، لبنان، 1997، ص/ 19.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

أكثرها خلاء يندب ساكنيه"[1]، كما أشارات إحدى النوازل عام (407هـ/ 1016م) إلى تأثر جنات الأحباس بقرطبة نتيجة الحملات العسكرية [2].

إن هذه الشهادة التي قدّمها لنا ابن حيان والبكري تحمل في دلالاتها مدى الانكماش الاقتصادي الذي مسَّ البلاد عقب هذه الفتنة، ويُعزى ذلك لغياب الأمن وتهجير الفلاحين وخراب الأراضي وكثرة الأهوال والحروب، وستأتي سياسة "الحرب الاقتصادية" التي شنَّتها الممالك النصرانية عقب التحول السياسي الذي عرفته الأندلس مطلع القرن الخامس الهجري لتنقلها لمرحلة التريف الاقتصادي، وسنتبين هذه السياسة في أساليبها وغايتها في العناصر الموالية من دراستنا، ويُعزى ذلك أسَاسًا إلى التقسيمات والتراعات السياسية التي عرقلت التعاون الاقتصادي، علاوة على خطر الممالك النصرانية بعد توحيد مملكتي قشتالة وليون تحت سلطة ألفونسو السادس[3] [4]، مما أفسح لها المجال لتطبيق سياسة اقتصادية أقل ما يقال فيها أنها حرب استنزافية تدرجية.

[1]– البكري، المصدر السابق، ص/902.

[2]– ابن سهل، **الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى**، تح نورة محمد عبد العزيز التويجري، ط1، ج2، د.د.ن، ، 1995، ص/745.

[3]– **ألفونسو السادس**: ابن فرناندو الأول ملك قشتالة وليون سجن في بُرغش بعد هزيمته في موقعة جولبيخرا التي حدثت في أوائل سنة 1072م في مواجهة أخيه سانشو الثاني، ثم تم نفيه إلى طليطلة ونزل في بلاط المأمون ومكث هناك تسعة أشهر بعد أن قُتل سانشو الثاني محاصرًا لمدينة سمورة، ليصبح ملكًا على قشتالة وليون، استولى على طليطلة عاصمة الثغر الأدنى سنة (478هـ/1085م)، ودخل في مواجهة مع المسلمين في معركة الزلاّقة سنة (479هـ/ 1086م)، ينظر: ليفي بروفنسال، **الإسلام في المغرب والأندلس**، تر السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2012، ص/120، 121، 139.

[4]– أمحمد بن عبود، المرجع السابق، ص/ 98.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

4. الأسلحة (الوسائل)المستخدمة في الحروب الاقتصادية للممالك النصرانية ضد ملوك الطوائف.

لجأت الممالك النصرانية في صراعها الدائم مع المسلمين في الأندلس إلى إتباع أساليب أو طرق ممنهجة إلى حدّ بعيد لترجيح كفة الصراع لصالحها وتصبح هي الموجه لها، لتنتقل بذلك من دور الدفاع والاستكانة إلى دور الهجوم والضغط، وكانت للحرب الاقتصادية التي شنَّتها، وسائل سعت من خلالها إلى إضعاف الجانب الإسلامي والحدّ من قدراته.

4 .1 المقاطعة الاقتصادية .

تعددت الطروحات المقدمة في تعريفها نذكر منها "الامتناع عن التعاون وتحريم الاتصال مع الآخرين اقتصاديًّا أو اجتماعيًّا وفق نظام جماعي مرسوم"[1]، واعتبرها أحد الباحثين: "إجراء تلجأ إليه سلطات الدولة أو هيئاتها وأفرادها لوقف العلاقات التجارية مع جهة أخرى، ومنع التعامل مع رعاياها بقصد الضغط الاقتصادي عليها ردًا على ارتكابها جرائم عدوانية "[2].

وفي حقيقة الأمر أن المقاطعة الاقتصادية في العصر الوسيط حسب اعتقادنا وفي حدود اطلاعنا لم تتخذ هذا البُعد الواسع من مخرجها المفاهيمي، لذا يمكن القول أنها لم تتعدَّ في تطبيقاتها حيز الحظر الاقتصادي وهو أقل درجة من المقاطعة الاقتصادية، فيقتصر على مجرد حظر دخول منتج معين أو المنتجات الخاصة بهذه الدولة لأسباب مشروعة أو

[1]– مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، (باب الإقطاعي)، ص/745.

[2]– عابد بن عبد الله السعدون، **المقاطعة الاقتصادية – تأصيلها الشرعي – واقعها والمأمول لها –**، ط1، دار التّابعين للنشر والتوزيع، الرّياض، 2008، ص/ 25.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

غير مشروعة[1]، أما المقاطعة الاجتماعية التي أشار لها التعريف فلم تكن لها حيز من التطبيق في المجتمع الأندلسي بل تعاملوا مع النصارى وعاشوا جنبا إلى جنب. وحتى السلطة الحاكمة لم تتورع من زواج من نصرانيات أو توظيف النصارى في مناصب الدولة.

والسؤال الذي يطرح نفسه ها هنا إلى أي مدى تم تكريس هذا السلاح – أي المقاطعة الاقتصادية – من قبل الممالك النصرانية أو دول الطوائف خلال القرن الخامس الهجري؟.

وإذا ما جئنا لتبين مدى اعتماد هذا السلاح الاقتصادي خلال القرن الخامس الهجري فإن ذلك بالصعوبة بما كان، حيث لم نقف فيما اطلعنا عليه على إشارات واضحة تدلل على ذلك أو تنفيه، لذا نرجح أن النشاط التجاري ظل مستمرًا و لم يكن هناك مناداة بالحظر الاقتصادي من قبل السلطة السياسية على الأقل، كما فعل الموحدون فيما بعد أين أصدروا تحذيرات مشددة بهذا الشأن ونفس الأمر بالنسبة للممالك النصرانية حيث حظروا على رعاياهم الاتجار مع المسلمين، كما دخلت البابوية لدعم هذا الموقف، غير أن هذه التشريعات لم تجسد بحذافيرها فكان هناك التبادل التجاري الفردي أو الغير الرسمي على الأقل[2]، وقد سقنا هذا المثال وإن كان خارجا عن نطاق

[1]– المرجع نفسه، ص/27.

[2]– داود عمر سلامة عبيدات، **الموحدون في الأندلس: المغرب والأندلس** مابين سنتي (541–667هـ/1146–1268م)، دار الكتاب الثقافي، الأردن، د.ت، ص/153.توفيق مزاري، **النشاط البحري بالغرب الإسلامي في عهدي الموحدين والمرابطين**، ط1، ج1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص/319.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

حيّز الدّراسة بهدف التدليل على اللّجوء إلى مثل هذه الوسائل من قبل الممالك النصرانية وكذا المسلمين، وبالتالي فهمهم لمقصده وبُعد تأثيره.

وما يمكن أن يدعم طرح عدم تبني الحظر الاقتصادي خلال هذه الحقبة التاريخية، أن موازين القوى بدءًا من هذا القرن قد تغيرت وسارت باتجاه الممالك النصرانية، ومرد ذلك إلى تطور الأوضاع السياسية في الأندلس التي تلبسها الضعف والتفكك، بعد انهيار الخلافة الأموية، كما أن استعانة ملوك الطوائف بالنصارى وظاهرة اللّجوء السياسي إليهم وتقديم الجزية تشير كلها إلى غياب الحظر الاقتصادي، بل إن النصارى كانوا في حملاتهم التي يشنونها على الأندلس بهدف التدخل لطرف على حساب طرف آخر، لا يتحرجون في نقل المحاصيل الزراعية إلى بلادهم[1]، ويُفهم من هذا أن الممالك النصرانية خلال القرن الخامس كانت لا تزال في حاجة إلى ثروات الأندلس ومواردها.

كما صحب التجار من الممالك النصرانية السفارات التي كانت تَقْدُم إلى الأندلس بهدف قبض أموال الجزية، وأشارات المصادر الإسبانية المسيحية إلى وجود تجار مسلمين أندلسيين في الأسواق المسيحية خلال القرنين (5–6هـ/11–12م)[2] .

غير أن كتب الحسبة أبدت موقفًا مؤيدًا للحظر والمقاطعة ليس فقط على المستوى التجاري كتجنب بيع الكتب الإسلامية لهم وكذا شراء اللحوم من مجازرهم بل حتى على مستوى التّداوي والتطبيب[3]، وألف الطرطوشي (ت520هـ/1126م)كتابا سمّاه"**في**

[1]– ابن عذارى المصدر السابق، ج3، ص/278–282.

[2]– ندا أحمد الشمسي، **التأثير الحضاري المتبادل بين مسلمي الأندلس والنصارى الإسبان في العصر الإسلامي "92–897هـ/711–1492م"**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2015، ص/160، 162.

[3]– **ثلاث رسائل في آداب الحسبة**، ص/57، 94.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

تحريم جبن الروم "[1] ولاشك أن هذه الفتوى قد كانت ذات صيت واسع إذ أشارت بعض المدونات الفقهية إلى فتوى الطرطوشي في تحريم الجبن والكاغط الرّومي[2]، ولا نعدم أن تكون الكنيسة قد شجعت على مقاطعة مسلمي الأندلس على أصعدة شتّى، إلاّ أن هذا لم يحد من المعاملات التجارية بين المسلمين والنصارى، التي قلمَّا توقفت .

ويفهم مما تم طرحه أن المقاطعة الاقتصادية لم تجد حيزًا للتطبيق على الأقل على المستوى السلطوي غير أن الفقهاء والمحتسبة نادوا بذلك، ولا نعدم أن يكون رجال الدين الممالك النصرانية قد اتخذوا نفس التوجه في غياب تدليل مصدري يصرح بذلك [3].

4 .2 الحصار العسكري والاقتصادي.

ويُقصد به تسخير القوة العسكرية بهدف التضييق على مدينة أو حصن لدواعي مختلفة كالخروج عن السلطة أو إسقاط مراكز العدّو، وذلك بسلسلة من الخطط العسكرية منها سد مداخل ومخارج الموقع المحصور، ممّا يؤدي إلى عزله، وشل العملية

[1]– المقري، المصدر السابق، مج2، ص/88.أشار المقري إلى انتقال الطرطوشي من الأندلس للمشرق عام (476هـ/1083 م).

[2]–أنور محمود زناتي، **دور الفقهاء في الأندلس علميا–سياسيا–اقتصاديا–اجتماعيا–ثقافيا–(448–541هـ/1056–1148م)**، مؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية، 2016، ص/273.

[3]– لجأنا في هذا العنصر إلى رصد موقف الطرف الإسلامي رغم أن الحرب الاقتصادية كانت موجهة من قبل الممالك النصرانية لأنه لمسنا أن بعضا من الفقهاء والمحتسبة قد دعوا إلى حظر المنتوجات النصرانية وعدم ابتياعها في حين لم نستطع أن نقف على نص صريح يدل أن الكنيسة كسلطة دينية قد دعت إلى ذلك أم لم تفعل، غير أنه على المستوى السياسي لم نجد تطبيقًا لسياسة الحظر والمقاطعة في حدود ما اطلعنا عليه .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

الاقتصادية بدخول البضائع وخروجها وإهمال الأنشطة الفلاحية[1]، وغالبا ما كان الحصار العسكري يرفق بحصار اقتصادي في العصر الوسيط.

هذا ويعدّ الحصار الاقتصادي أكثر أسلحة الحرب الاقتصادية تأثيرًا، ذلك أن عزل الموقع المحصور يترتب عنه آثار بالغة خصوصًا على المستوى الاجتماعي كالمجاعات وانتشار الأوبئة والأمراض.

ولنا في تاريخ الأندلس خلال القرن (5هـ/11م) نماذج لعدة حصارات ضُربت على المدن الأندلسية من قبل الممالك النصرانية وبخاصة مملكة قشتالة والتي يمكن القول أنها كانت تقود حرب استرداد الأندلس ضد المسلمين بلا هوادة، وهو ما آثرنا أن نبيّنه من خلال الجدول الموالي:

المدينة/القلعة المحصورة	تاريخ الحصار	مصير الحصار	مدة الحصار	عدد الحصار	المصدر/المرجع
بازو[2]	ربما (418هـ/1027م) أو قبل هذا التاريخ	فاشل	/	1	محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، ص/377.

[1]– البشير بوقاعدة، **فن الحصار في بلاد المغرب الإسلامي بين القرنين الرابع والثامن الهجريين (10 – 14 م)**، ط1، دار الأيام للنشر والتوزيع، الأردن، 2019، ص/141–143.

[2]– **مدينة بازو:** (Viseo) هي من مدن الثغر الغربي (بطليوس) وقد تعرضت للحصار من قبل ألفونسو الخامس ملك ليون لكن سكانها استطاعوا فك الحصار، حيث أقدم أحد الرماة المسلمين على رمي الملك النصراني بسهم مسموم فأرداه قتيلا، ينظر: فضيل بوالصوف، المرجع السابق، ص/51.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

قلمرية[1]	(456هـ/1063م)	ناجح	ستة أشهر	1	ابن عذارى، ج3، ص/ 238–239. 253.
بلنسية	(455هـ أو 456هـ) (وقعة بطرنة). (478 وربما 479هـ/1085/1086 م).	فاشل	/ مدّة من الزمن ثم رفع الحصار ونعتقد أنه بلغ عامًا أو أقل . 20 شهرا.	3	ابن عذارى، البيان المغرب، ج3، ص/252.ابن عذارى، ج4، ص/31–33.المقري، نفح الطيب مج4، ص/448، فضيل بوالصوف، العلاقات السياسية، ص/132.
	(485– 487هـ/ 1092–1095م).	ناجح			

[1] – **قلمرية:** وتكتب أيضا **قلنبرية،** مدينة تقع على مصب نهر المنديق في المحيط الأطلسي على الساحل الغربي لشبه جزيرة ايبريا (في بلاد البرتغال حاليا)، ينظر: ابن حيان، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس،** تح محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973، إحالة رقم 320)، ص/ 528.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

قونكة [1]	نرجح قبل سقوط طليطلة	فاشل	/	1	ابن كردبوس وابن الشباط، تاريخ الأندلس – نصان جديدان –، ص/ 81.
قورّية (وقلاعها) وسُرْتَة [2].	(473هـ/1080م)	ناجح	/	1	ابن بسام، الذخيرة، ق2، مج1، ص/249.
إشبيلية	(478هـ/1085) [1].	فاشل	ثلاثة أيام	1	ابن أبي زرع،

[1]– صحتها **قونكة أو كونكة Cuenca** وكانت من أمنع حصون طليطلة. أنظر: ابن كردبوس وابن الشباط، المصدر السابق، (إحالة 1)، ص/81.

[2]– **قورّية:** قريبة من ماردة وهي من أحصن المعاقل لها سور منيع، كما أنها وفرة الخيرات أكثرها العنب والتّين، أنظر الحميري، المصدر السابق، ص/164، أما **مدينة سُرتة** التي ذكرها ابن بسّام فهي من خلال ما وقفنا عليه من خلال المصادر ترد باسم "سُرتة "و"سرية "، وقد أشار إليها أمير بطليوس عمر المتوكل في رسالته إلى يوسف بن تاشفين وأشار الإدريسي أنها ضمن إقليم الوجة الذي يضم سرية وهية وقلعة رباح وأن بينها وبين شقورة مرحلتان وبمقربة منها حصن قنة، ينظر: مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979، (إحالة 57)، ص/35، .

Xerif Aledris **,Dexription de Espana** ,con traduction y notas , de don josefantion conde , de la real biblioteca , madrid , p 32 ,79.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

					الأنيس المطرب[1]، ص/144، .ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص/439.
طرطوشة	نرجح سنة (478هـ/1085م)	فاشل	يُفهم من الرواية التاريخية أنها مدة طويلة من الزمن	1	ابن كردبوس وابن الشباط، تاريخ الأندلس – نصان جديدان –ص /100.

[2]– هناك من الدراسات التي أسندتها حسب اعتمادها على بعض المصادر إلى سنة (475هـ/ 1082م)، وقد ناقش الباحث فضيل بوالصوف هذا التاريخ ورجح سنة (478هـ /1085م)، كما أسنده ابن الأثير إلى عام (478هـ/1085م)، واعتقدنا نحن أيضا بصحته: أنظر فضيل بوالصوف، **العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف. ق5هـ/11م**، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010– 2011، ص/84– 85.

[1]– صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

سرقسطة	(460هـ/1067م) (478هـ/1085م)[1]	فاشل	/ نرجح عدّة أشهر وربما بلغت عاما كاملا حتى عبور المرابطي	2	عبد الله عنان، ملوك الطوائف، ص/ 280.ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص/143–144.ابن كردبوس وابن الشباط، تاريخ الأندلس – نصان جديدان –، ص /91.
طليطلة	(478هـ/1085م)	ناجح	سبع سنوات	1	ابن بسام، الذخيرة، ق 4، مج 1، ص /162، 165، 167، ، ابن

[1] – حدَّدها الباحث محمد عبد الله عنان في أواخر صيف 1086م/أوائل 479ه)، أنظر: محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص/287.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

					الأثير، الكامل في التاريخ [1]، مج8، ص/439.
قلعة قلبرة	(437هـ/ 1045 م)	ناجح	مدة من الزمن.	1	ابن عذارى، البيان المغرب، ج3، ص/281.
مدن وجهات غير محددة .	(478هـ/1085م)	ناجح في الغالب	/	4	ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص/144، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص/85، ابن كردبوس وابن الشباط، تاريخ الأندلس، ص/97.

[1]– ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

جدول رقم (1): نماذج للحصار العسكري للمدن الأندلسية خلال القرن (5هـ/11م)

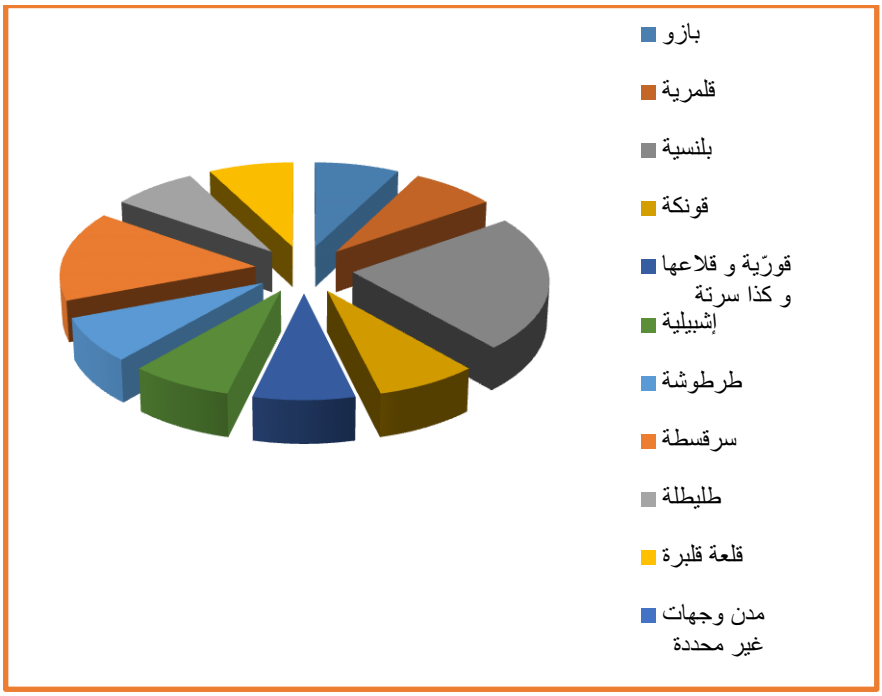

شكل رقم (1): دائرة نسبية توضح عينات للمدن والقلاع التي تعرضت للحصار من قبل الممالك النصرانية خلال القرن (5هـ/11م).

التعليق والتحليل:

الملاحظ للجدول والدائرة النسبية أعلاه يتضّح له أن عديد المدن الأندلسية وكذا قلاعها قد مسَّها الحصار العسكري المفروض عليها من قبل الممالك النصرانية فلم تسلم المدن القريبة ولا البعيدة نسبيًا عن المجال الجغرافي لها مما يدَّلل على مدى تطاولها في فرض

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

الهيمنة والسيطرة على دول ملوك الطوائف خلال المرحلة المدروسة وقد كلِّلت معظّمها بالنجاح رغم حصانة المدن الأندلسية[1]، مما يكشف لنا عن مدى التَّطورات العسكرية والسياسية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري حيث انتقلت الأندلس الإسلامية من موقع الهجوم والتَّحكم في زمام توجيه القوى إلى موقع الدِّفاع والمحافظة على البقاء.

هذا ويُفهم من خلال ما أدلَّت به الروايات التاريخية أن الممالك النصرانية ما لبثت أن صعدّت من لهجتها وضغطت على ملوك الطوائف الذين أعيتهم الحيلة في أداء التكاليف المالية المفروضة عليهم، فسارعت أيضًا إلى تقويض سلطانهم بضرب عديد الحصارات العسكرية التّي وإن تعددت أسبابها، فإنها في مجملها تندرج ضمن سياسة حرب الاسترداد التّي شنتها هاته الأخيرة، وكان المأرب الاقتصادي – موضوع دراستنا– والتعنُّت في تحصيله حاضرًا بقوة في جلّ هاته الحصارات ومن ذلك نذكر:

– حصار مدينة قلمرية التابعة لبطليوس عام (456هـ/1063م) حيث تمكن فرديناند الأول[2] من دخول المدينة بعد حصار امتد إلى ستة أشهر وقام على إثر ذلك بإجلاء المسلمين منها وتعويضهم بالنصارى وهي تكشف دونما شك عن سياسة في احتواء الأندلس والتَّقبض عليها، غير أن دوزي يجعل ذلك سنة (457هـ/1064م) بدلاً من (456هـ/1063م)أي عام بعد سقوط مدينة بَرْبُشْتَر، كما أورد اسم المدينة بقنبرة

[1]– ابن كردبوس وابن الشباط، المصدر السابق، هامش1، ص/81، ابن بسام، المصدر السابق، ق3، مج1، ص/16– 17، الحميري، المصدر السابق، ص/ 37، 164.

[2]– **فرديناند الأول:** الابن الأكبر لسانشو العظيم (1035–1065م)، حكم قشتالة في بادئ الأمر ثم حارب صهره برمودو الثالث ملك ليون فانتصر عليه فانتصر عليه وقتله وضمّ بلاده إلى مملكته ثم حارب أخاه غرسية ملك نافار وانتصر عليه وقتله وضمّ بلاده إلى مملكته ملقبا نفسه بالإمبراطور، ينظر: ابن كردبوس، المصدر السابق، (إحالة رقم 1)، ص/76.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

بدلًا من قلمرية، غير أنه ذهب إلى نفس مدة الحصار ونتائجه، وبالتالي نعتقد أنها نفس المدينة أي قلمرية ويظهر أن الحصار علاوة على طابعه العسكري فلم يخلو من التعنت الاقتصادي فقد أشار دوزي[1] أن فرديناند اشترط عليهم تسليم خمسة آلاف من المدافعين عن المدينة أما الباقي فيرحلون فقط بنفقة ضرورية، وبالتالي فقط استولى على جميع خيرات المدينة وثرواتها، كما وأجلى السكان القاطنين بين نهر "دويره"[2] و"منديجو"[3]، بغية تعويضهم بالنصارى.

– حصار مدينة سرقسطة من قبل الجيش القشتالي عام (460هـ/1067م)، حيث اضطر المقتدر بن هود (438هـ–474هـ/1046–1081م) أن يقدم للجيش القشتالي مقادير كبيرة من الذهب والفضة وكذا الأحجار الكريمة والأقمشة الفاخرة وأداء مستَّحقات الجزية المفروضة عليه، وبذا رفع الحصار عن المدينة [4].

[1]–R. Dozy, **Histoire des musulmans d'Espagne jusqu'à la conquete de l'andalousie par les almoravide (711-1115)**, librairie et imbrimerie, leyde,1932, p82.

[2]– **نهر الدويرة: (Rio Duero)** ينبع من المنطقة الجبلية في منطقة سرية التابعة لمقاطعة قشتالة في إسبانيا ويصب في ساحل المحيط الأطلسي في البرتغال وعلى مصبه مدينة برتقال (بورتو porto)، ويشكل نهر الدويرة الخط الذي كان فاصلاً بين البلاد الإسلامية والنصارى في الشمال، ووصفه الإدريسي بأنه نهر كبير جدًا، كثير الماء شديد الجرية عميق القعر، ينظر: ابن حيان، المصدر السابق، (إحالة 614)، ص/ 655، Xerif Aledris , op.cit , p 107.

[3]– **نهر المنديق: mondego** يقع بمقربة من مدينة قلمرية في المحيط الأطلسي على الساحل الغربي في بلاد البرتغال حاليا، ينظر: ابن حيان، المصدر السابق، (إحالة 320)، ص/558.

[4]– محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص/280.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

– حصار مدينة قونكة التابعة للقادر (435–467هـ/1020–1075م) من قبل ملك الأرغون ابن رُدمير سانشو راميريث (455–487هـ/1063–1094م) فنقل ابن كردبوس (عاش في النصف الثاني من (القرن 6هـ/12م) أنه لازمهم الحصار حتى كادوا يهلكون عطشًا، فافتدوا منه بمال كثير، لكن لا نعلم عام هذا الحصار على وجه التحديد، غير أنه طبعا كان قبل (467هـ/1075م) أي قبل وفاة القادر، إلاَّ أننا نفهم منه المأرب الاقتصادي لملك الأرغون من جراء هذا الحصار العسكري الذي ضربه على مدينة قونكة من خلال المال الكثير الذي أخذه مقابل فك الحصار، وعليه ننوه إلى أن بعضًا من الحصارات العسكرية التي كان مآلها الفشل قد نجحت في تحقيق مأربها الاقتصادي بالتَّقبض الأموال والثروات .

هذا من جهة، ومن جهة أخرى نشير إلى أن هاته الحصارات العسكرية للمدن الأندلسية لم تخلوا من الحصار الاقتصادي منطقيًا بحصر سكان المدينة ومنعهم من الخروج أو الولوج، لكن بحسب ما نقلته متون المرحلة فإن ذلك بدَا واضحا عند تحرك ألفونسو السادس عام (478هـ/1085م) فشق بلاد الأندلس وكان يقف عند كل مدينة ثلاثة أيام يخرب ويفسد خيراتها وينسف كل ما صادفه في طريقه كما حصل لمدينة باجة ولَبْلة[1]، وكذا شذونة وأحوازها[2]، حيث قسم ألفونسو السادس جيوشه على مناطق عدّة لتخريبها، فأشار الدوزي أنه أحرق قرى الغرب وخربّها، كما أسرّ وقتل أهلها [3]، ثم اجتمع شملهم واتجهوا صوب اشبيلية فضربوا عليها الحصار، وما ذلك إلا لإضعاف

[1]– الحميري، المصدر السابق، ص/85.

[2]– ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص/143– 144. ابن كردبوس وابن الشباط، المصدر السابق، ص/76.

[3]– دوزي، **المسلمون في الأندلس**، ج3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، ص/126.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

جانبها الاقتصادي، فينقطع مصادر رزقها وتضطر للتسليم فأقدم على حرق جبل الشرف وعاث فيه فسادًا، نتيجة تطاول أميرها المعتمد بن عباد (461–483هـ/1069–1091م) على السفارة التي أوفدت لقبض مستحقات الجزية [1].

وهي نفس السياسة التي لجأ إليها في حصار طليطلة فأقبل ينتسف زروعها وضيَّق عليهم عدة أعوام، ثم أطبق عليهم الحصار فارتفعت الأسعار وقلت الموارد، واشتد الضيّق على الساكنة[2]، وكان لظفر ألفونسو بها آثار خطيرة على التواجد الإسلامي في الأندلس، ولم تكن سياسة ورغبة في تملك طليطلة بالجديدة، بل إن مصادر المرحلة تنقل لنا أن فرديناند أبوه قد سلك السياسة عينها في إضعاف طليطلة بغية تملكها فيقول ابن عذارى (كان حيّاً عام 712هـ/1050م): "... خرج فرذلند الطاغية ... إلى ثغر طليطلة حتى غصّت بهم واضطربت أحوال أهلها ... خلال ذلك وغلت ... وأرسلوا الطاغية فرذلند الظاهر لابن هود ليعقدوا معه صلحًا على بلدهم طليطلة وما حولها على مال يؤدنه ويرحل عنهم ... واشترط شروطًا لا يقدرون عليها"[3] ويُفهم من هذا أن الممالك النصرانية وعلى رأسها قشتالة "شنت حربًا اقتصادية قوامها سياسة الأرض المحروقة فبادرت إلى استعمال أسلوب الغارات التخريبية ضد الأرياف التّي تمد المدن الأندلسية الكبرى بما تحتاج إليه من ضروريات الحياة مما يجعلها عاجزة عن صد أي هجمة" [4].

[1]– مجهول الحلل الموشية، ص/42.
[2]– ابن بسام، المصدر السابق، ق4، مج 1، ص/ 164–167.
[3]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص/281– 282.
[4]– محمد حصباية، المرجع السابق، ص /89.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

وأقدم ألفونسو السادس على قصد وادي آش التابعة لغرناطة فاكتسح بسائطها وحمل رعيتها المعاهدة لعمارة أرض طليطلة[1] التي استولى عليها، وقام قبل ذلك بتوزيع مائة ألف دينار على الضعفاء فيها حتى يستعينوا بها على الزراعة والاعمار[2]، وهذا إن دّل على شيء فإنما يدل على الضعف الذي لحق طليطلة من جراء الحصار وغارات التخريب كما يؤكد بعد نظر ألفونسو السادس في سياسته السياسية والاقتصادية على حدّ سواء.

كما يتسنى لنا أيضا من خلال الجدول أن نتبَّين أن هناك تباين في عدد الحصار العسكري المضروب على المدن الأندلسية بتباين سنوات الحصار أيضًا وهو ما آثرنا توضيحه في المنحنى البياني الموالي:

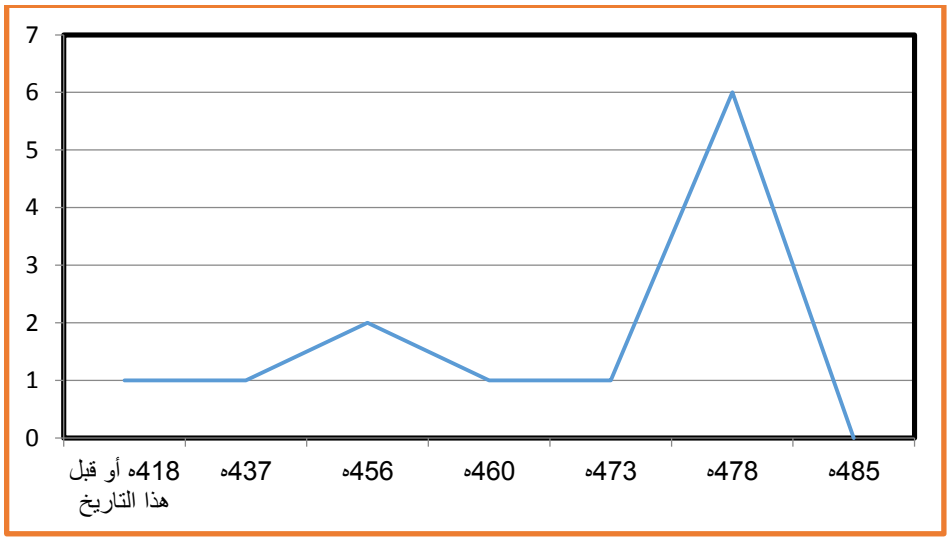

شكل رقم (2): منحنى بياني لعدد من نماذج الحصارات العسكرية التي تعرضت لها المدن الأندلسية خلال القرن (5هـ/11م).

[1] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص/36.

[2] – ابن كردبوس وابن الشباط، المصدر السابق، ص/91.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

يمكن أن نقف من خلال المنحنى البياني المُدْرَّج أعلاه أن الممالك النصرانية اعتمدت سياسة الحصار العسكري كسياسة ناجعة لتحقيق مآربها الاقتصادية خُصوصًا، منذ وقت مُبَّكر– من فترة الدّراسة – لكنها صعدّت من حيّز تطبيقها مع مرور الوقت وازدياد قوتها مقابل ضعف ملوك الطوائف وخنوعهم لمطالبهم المتَّشططة، فكانت سنة (478هـ/1085م)مؤشرًا لارتفاع عدد الحصارات العسكرية المطبقة على المدن الأندلسية فنجحت بعضها كسقوط مدينة طليطلة وسَلِمت أخرى كمدينة سرقسطة وطرطوشة واشبيلية والظاهر أن أخبار قدوم طلائع المرابطين هي من أجبرت ملوك النصارى على رفع الحصار ولو لم يكن ذلك لكان للأحداث مجرى آخر، في ظلّ تطور سياسة ملوك النصارى بالرغبة في استحواذ على البلاد دون تردد أو تماطل .

وقد كانت بعضًا من سنوات الحصار طويلة المدى نسبيًا كحصار طليطلة من قبل ملك قشتالة ألفونسو السادس وكذا حصار بلنسية من السيّد القمبيطور، مما ترتب عنه اضمحلال مواردها الاقتصادية، فأطبق شبح الخراب والجوع على الساكنة مما اضطرها للخضوع والتسليم .

كما لم تسلم القلاع والحصون التابعة للمدن الأندلسية من سياسة الحصار العسكري كحصار قلاع مدنية قورّية ثم المدينة نفسها وكذا حصار قلعة قلبرة[1]، وعلى كلٍّ فقد كانت الممالك النصرانية تسعى في كل مناسبة للاستحواذ على القلاع والحصون الأندلسية باعتبارهم خطوط دفاع وحماية للمدينة الحاضرة وهو ما وقفنا عليه

[1]– أشار الباحث فضيل بوالصوف أنه لا توجد في الأندلس قلعة بهذا الاسم، ولرُّبما المقصود مدينة قَلَهُرَّة (Calahorra) وهي مدينة من أعمال تُطيلة في شرق الأندلس، أنظر: فضيل بوالصوف، المرجع السابق، ص/22.ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص/281.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

في سياسة ألفونسو السادس مع طليطلة واشبيلية[1]، وننوه إلى أن جل المدن الأندلسية تعرضت– خلال فترة الدّراسة – لسياسة الحصار العسكري أكثر من مرة من قبل الممالك النصرانية، وإن كانت مصادر المرحلة لا تزيل الإبهام دائمًا حول ذلك.

هذا وكان ملوك الطوائف ذاتهم سببًا فيما انقلبوا إليه من الضعف والحصارات المضروبة عليهم من جراء صراعاتهم المخزية، وبخاصة أن الرعية تضررت نتيجة هذه الفتن، والحملات التي كان يشنُّها النصارى في أكثر مواقيت محاصيلهم، وما بقي منها فكانوا ينفقونها في المغارم التي أرهقت كاهلهم نتيجة تعسف ملوكهم[2] كما نزلت بهم عديد الأزمات الطبيعية التي أثرت بدورها على المعطى الاقتصادي لدويلات الطوائف كالبرد العظيم الذي نزل أيام بني هود أصحاب سرقسطة فأهلك ثمارها وترُكت جذوعا دون أغصان[3]، وكذا جائحة القحط والجراد التي أشار إليها المعتمد بن عباد في إحدى رسائله لعماله حيث أشار إلى عدم قدرة الرعية على دفع المعونة نتيجة الفتنة التي عمّت البلاد ومعانتها من جائحة القحط والجراد[4]، والظاهر أن المناطق الرِّيفية كانت أشد تضررًا من صنوف هذه الممارسات لكون الفلح يكون عادة في البوادي[5].

وما يمكن الخلوص إليه أن الحصار العسكري والاقتصادي الذي أطبقه النصارى على عديد المدن الأندلسية، اندرج ضمن سياسة موجهة أضعفت الجانب الاقتصادي من خلال حملات التخريب ونسف المزروعات، وعزل المدينة المحاصرة، مما ترتبت عنه نتائج

[1]– ابن بسام، المصدر السابق، ق4، مج2، ص/163، ابن بلكين، المصدر السابق، ص/77.
[2]– المصدر نفسه، ق2، مج1، ص/254، 609 – 610.ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص/287.
[3]– الحميري، المصدر السابق، ص/88– 89.
[4]– ابن بسام، المصدر السابق، ق2، مج1، ص/252– 253.
[5]– أمحمد بن عبود، المرجع السابق، ص/35.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

سلبية على كافة الأصعدة، غير أنها كانت سياسة كفيلة بإضعاف دويلات الطوائف والحدّ من قدراتها.

5. صور وخُطط الحرب الاقتصادية .

لتطبيق سياسة الحرب الاقتصادية الموَّجة من قبل الممالك النصرانية ضد ملوك الطوائف خلال القرن الخامس الهجري لجأت إلى تطبيقها على مستويات عدّة اتخذت أشكالاً وصورًا مختلفة ارتأينا حسب المادة المصدرية المتاحة إبرازها على النحو التالي:

5 .1 إغراق دول الطوائف في الأزمات المالية.

اتخذت الممالك النصرانية سياسة الجزية كمنطلق لتكوين ثروة مادية كخطوة أولية لتحقيق سياسة بعيدة المدى لاسترجاع الأندلس، وذهب أحد الباحثين إلى الاصطلاح على هذه السياسة "**بسياسة السلام المادي**" التي تتيح لها الرفع من قدراتها السياسية والعسكرية وكذا الاقتصادية حتى يتسنى لها تحقيق مشروعها التّوسعي[1]، هذا ولم يكن مؤشر مبلغ الجزية ثابتًا بل يستند إلى الظروف عادة، كما وظف النصارى حملاتهم العسكرية المفاجئة، والمتكررة على الأندلس مصدرًا لتحصيل مزيد من الأموال كحملة ألفونسو السادس على غرناطة التي فرض عليها خمسين ألف مثقال[2]وبعد إلحاح أميرها واستعطافه لملك النصارى، استقرت عند ثلاثين ألف مثقال، علاوة على الجزية

[1]– سمير مزرعي، **السّلطة والمجتمع في عصر ملوك الطوائف خلال القرن 5هـ/11م**، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2017–2018، ص/23.

[2]– **المثقال:** زنة اثني وعشرين قيراطا إلاّ حبة وهو أيضا بزنة ثنتي وسبعين حبة شعير مما تقدّم ذكره، وقيل إن المثقال منذ وضع لم يختلف في جاهلية ولا إسلام .أنظر: المقريزي، **شذور العقود في ذكر النقود**، جامعة الملك سعود، 1957، و61 ظ.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

السنوّية التي حُدِّدت بعشرة آلاف مثقال في العام[1]، وقد يضاعف مبلغ الجزية كما حصل في مفاوضة ابن عمار وزير المعتمد لألفونسو السادس لردّه عن إشبيلية[2]، هذا ونشير أن دويلات الطوائف كسرقسطة وبطليوس وكذا طليطلة وإشبيلية، كانت تلتزم بدفع الجزية منذ زمن فرديناند ملك قشتالة وليون[3] .

وفي ذات الصدد اعتبر أحد الباحثين أن سياسة فرض الجزية كانت مبرمجة بدّقة ومُنَّفذة لتحقيق أهداف قصيرة المدى والمتمثلة في تدعيم الجانب المادي للنصارى، أما الأهداف البعيدة المدى فتندرج ضمن خطة إضعافها لدرجة يصبح غزوها ضرورة مفروضة[4]، وتحولت الجزية في عهد ملوك الطوائف إلى أهم مصدر دخل لمملكة قشتالة وليون، وكانت تتزايد من ملك لآخر[5] وهو ما أّدى للانحطاط الاقتصادي الذي ترتب عنه ضرب عملات أقل قيمة بخلطها بمعادن رديئة[6]فنجد أنه مما تم ضربه من نقود سنة (406هـ/1015م) أثناء الفتنة الداخلية بالأندلس يبين التّدهور الكبير لقيمة النقود خلال هذه الفترة المتأزمة، ورغم هذا نلاحظ التعدد العملة النقدية في هذه الفترة بكثرة دور

[1]– عبد الله بن بلكين، المصدر السابق، ص/75– 76.

[2]– المراكشي المصدر السابق، ص/179– 180.

[3]– فضيل بوالصوف، المرجع السابق، ص/71– 72.رينهرت الدوزي، المسلمون في الأندلس، ج1، ص/79.

[4]– أمحمد بن عبود، المرجع السابق، ص/90.

[5]– ابن الخطيب، المصدر السابق، ص/221.

[6]– أمحمد بن عبود، المرجع السابق، ص/112.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

الضرب تبعًا لعدد الإمارات غير أنها كانت رديئة، باستثناء نقود بني عباد[1]، لكنها ما لبثت أن سلكت نفس المنحى في التّردي بدليل أن سفارة اليهودي التي أرسلها ألفونسو السادس عام (478هـ/1085م) اتهمته بتزييف العملة النقدية المقدمة لاستيفاء مستحقات الجزية[2]، ويُفهم مما أورده صاحب الحلل الموشية [3] أن الجزية تكونت من مال العين وسبائك الذهب.

إن انشغال ملوك الطوائف بصالحهم الخاص عن مصالح الرعية أورث أزمات اقتصادية واجتماعية حادّة، فكان جل همهم منصب على تجميع الأموال وتوسيع نفوذهم السياسي[4].

ولم يقف الأمر عند الممالك النصرانية، بل كان أحد مرتزقتها وهو السيد الكمبيطور (El cid Compeador) قد جنى أموالًا طائلة من نظام الجزية التي فرضها على ملوك الطوائف، فبعد عودته من قشتّالة عام (482هـ/ 1090م) أخضع سائر الإمارات القريبة من بلنسية وفرض عليها أموالا كثيرة وأجبرهم على دفع الجزية للملك ألفونسو السادس كما كان الأمر قبل موقعة الزلاقة، وهي مربيطر، وألبونت وشنتمرية الشرق

[1]– مراد تجنانت، **ملامح عن تقلبات قيمة النقود بالأندلس في القرنين 5 و6 الهجريين (11–12م) وتأثيراتها الاقتصادية والاجتماعية**، مجلة المعارف للبحوث والدّراسات التاريخية، مج3، ع 2، 2017، ص/312–313.

[2]– المقري، المصدر السابق، مج4، ص/246، ابن الآبار، المصدر السابق، ج2، ص/122، الحميري، المصدر السابق، ص/84– 85، المقري، المصدر السابق، مج1، ص/439.

[3]– المصدر السابق، ص/42.

[4]– ابن حزم، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تح إحسان عباس، ط2، ج3، المؤسسة العربية للدّراسات والنشر، بيروت، 1987، ص/41.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

فنزل بجيشه على السهلة التابعة لابن رزين واتفق معه على مقدر الجزية بلغت عشرة ألاف دينار في العام، ثم اتجه نحو مربيطر جنوب بلنسية فأخضعها أيضا وأرغم صاحبها ابن لُبُّون على أن يؤدي له جزية سنوية قدرت بثمانية آلاف دينار[1]، وبعد دخول القمبيطور بلنسية في حصاره لها، وتراجع المرابطون لنجدتهم، شمخ بسطوته وتبجح بطغيانه ففرض على أهلها سبع مائة مثقال وبملاطفة وزيره اليهودي له أقرّها بمائتي ألف مثقال[2] .

وعبر ابن بسام (ت542هـ/1050م) عن عُمق سياسة الحرب الاقتصادية التي استهدفت ملوك الطوائف فقال: "وكانت طوائف الروم، مدة ملوك الطوائف بأفقنا قد كلب داؤهم بكل إقليم فلاطفوهم بالاحتيال، واستزلوهم بالأموال، فلم يزل دأبهم الإذعان والانقياد، ودأب النصارى التَّسلط والعناد، حتى استصفوا الطريف والتّلاد، وأتى على الظاهر والباطن النّفاذ، بما كانوا ضربوا على أنفسهم من الضريبة، إلى ما يتبعها من هدّيات ونفقات"[3]، وكانت أموال الجزية التي تؤدى للنصارى عاملاً في زيادة قوتهم فأشار ابن عذارى إلى أن سقوط قلمرية بعد الحصار الذي فرضه عليها فرديناند نتيجة لأموال التي كانت تُصطفى من المسلمين غير أنهم ما لبثوا أن ملوا سياسة فرض لجزية وسعوا لاحتواء قواعد الأندلس[4].

وكان ملوك الطوائف على دِّراية تامة بهذه السياسة كما جاء على لسان عبد الله بن بلكين أمير غرناطة، إذ أشار إلى كيفية احتوائه لطليطلة بعد إرهاقها بالغارات وأخذه

[1]– محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص/237–239، 257.
[2]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص/41.
[3]– ابن بسام، المصدر السابق، ق2، مج1، ص/248.
[4]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص/229.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

الجزية إلى أن ضعفت فاستولى عليها[1]، لقد انتهج ألفونسو السادس سياسة السلام المادي أو جمع المال، ذلك أنه عصب الحروب، حتى يتسنى له تحقيق ما كان يصبوا إليه ومن ثم فقد وضع ملوك الطوائف على حدّ تعبير الدوزي "بين شقي الرحى، وإذا كانت المعصرة تعصر التفاح فتخرجه خمرًا، فإنه راح يعصر الذهب من هؤلاء الأمراء"[2] .

كما فرض ملوك الطوائف مغارم شتَّى على الرعية كضريبة المعونة[3] بالإضافة إلى المكوس[4] لإيفاء مستحقات الجزية وديونهم للممالك النصرانية، كفعل يحيى بن القادر في طليطلة وبلنسية التي كلف أهلها ستمائة دينار يوميًا وفرض ضرائب باهظة قصد دفع أعطيات الجند القشتاليين، بل ووصل الأمر به إلى إقطاعهم أراضي واسعة عند عجزه عن دفع رواتبهم المتأخرة، فجبلوا العبيد لفلحها، وحصلوا أمولا كثيرة جراء الغارات التي كانوا يشنونها على البلاد المجاورة لبلنسية[5].

ومرد هذه الأزمات المالية عموما إلى:

– مداخلة ملوك الطوائف للنصارى في شؤونهم الداخلية والاستعانة بهم في توسيع نفوذهم مقابل أموال جمَّة.

– الجزية السنوية التي فرضت عليهم، علاوة النقفات الأخرى والهدايا التي ترسل لهم بين الحين والآخر، والديون المستحقة عليهم .

[1]– عبد الله بن بلكين، المصدر السابق، ص/101.

[2]– رينهرت دوزي، المرجع السابق، ج3، ص/123.

[3]– عبد الله بن بلكين، المصدر السابق، ص/120.ابن بسام، المصدر السابق، ق2، مج1، ص/254.

[4]– المصدر نفسه، ص/109.ابن حزم، المصدر السابق، ج3، ص/173.

[5]– رينهرت دوزي، المرجع السابق، ج3، ص/128.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

– الحروب الداخلية فيما بينهم التي استنزفت الأموال ومحت خيرات البلاد، ومن ذلك صراع المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة مع ابن هود صاحب سرقسطة، والمعتضد بن عباد صاحب إشبيلية.

2.5 افتعال الحروب بين دويلات ملوك الطوائف المستهدفة بالحرب الاقتصادية وتطبيق سياسة الحماية العسكرية

لم تقف الممالك النصرانية في خطتها الحربية الاقتصادية لإضعاف المسلمين عند حدّ وراحت تفتعل الحروب بينهم وتغذّيها ومن ذلك الصراع الذي كان بين المأمون وابن هود فاستعان الطرفان بملك قشتالة فرديناند الأول، حيث استجاب لطلب المأمون بن ذي النون وعاث في أراضي سليمان ابن هود، وقاموا بنقل حصادها إلى بلادهم، بل إنهم لم يتركوا ما يقتاته الطير على حدّ قول ابن الخطيب[1]، وسلك ابن هود نفس مسلك المأمون فبعث لفرديناند أموالًا وتحفًا مقابل الإغارة على أراضي المأمون فاستجاب لطلبه، ولم يقف المأمون عند ذلك بل استعان بغرسية ملك نافار (427–446هـ/1035–1054م) الذي استباح أراضي ابن هود ما بين تطيلة ووشقة، وعاث فرديناند بدوره في أحواز طليطلة وخربها[2]، واستمرت الفتنة بين هذين الأميرين ثلاثة أعوام من (435هـ/ 1043م) إلى آخر سنة (438هـ/ 1056م) ولم تنقطع إلا بموت سليمان بن هود في العام ذاته[3].

[1]– المصدر السابق، ص/177.

[2]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص/278 – 282، 287. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص/98–100.

[3]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص/282.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

كما عقد ابن عمار وزير المعتمد بن عباد مع ملك قشتالة تحالفًا لغزو غرناطة فدفع له أموال جسيمة ووعده بدفع خمسين ألف مثقال إذا تم التَّقبض على المدينة واقتضى العقد بينهما أن تكون المدينة له وذخائرها لألفونسو السادس، غير أن أمير غرناطة سلك نفس مسلك في التجائه لألفونسو السادس وعرض عليه أموال كثيرة فما كان منه إلا أن يجاري الطرفين ويضرب رأسيهما ببعض حتى تنكسر كما ينكسر الفخار[1].

وقد أسهمت هذه الحروب بقدر كبير في إهدار طاقة هذه الدويلات البشرية منها والمادّية، ويبدو أن دعمها من قبل قشتالة كان سياسة مرسومة الأبعاد، ولها ما يبررها[2]، ويقول في ذلك ابن كردبوس: "وصادف أيام ملكه (أي ألفونسو السادس) نفاقًا كثيرا بين المسلمين واختلافًا عظيمًا، وضعف بعضهم عن بعض إلا بمعونة الروم، فبذلوا للفنش ما يحبه من الأموال، ليعينهم على مناوئهم بأنجاد الرجال، واللّعين في أثناء ذلك لما بينهم من الفتنة مسرور..."[3]، كما أشار عبد الله بن بلكين (465هـ–483هـ/1073–1090م) وهو الشاهد على عصره، إلى سياسة ألفونسو السادس في تغذية النّزاعات بين ملوك الطوائف، فكلما كثرت الحروب بينهم كان له في ذلك فائدة عظيمة، فيأخذ أموالهم ويُضعف سلطانهم[4]، بل إن ابن حيّان نبه إلى أن ألفونسو السادس هو من كان العلّة في شبّ نار الفتنة التي كانت بين يحيى (461–464هـ/1068–1072م) وعمر

[1]– عبد الله بن بلكين، المصدر السابق، ص/72 – 73.

[2]– محمد حصباية، **الممالك المسيحية شمال الأندلس وعلاقاتها بملوك الطوائف خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي**، رسالة ماجستير جامعة الجزائر، 2009–2010، ص/86.

[3]– ابن كردبوس وابن الشباط، المصدر السابق، ص/77.

[4]– عبد الله بن بلكين، المصدر السابق، ص/72– 73.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

المتوكل أميري بطليوس نكاية في المسلمين[1] ويشير ابن الخطيب[2] أن ذلك مرده ميل يحي لابن ذي النون وميل عمر المتوكل إلى المعتمد بن عباد، وأن ألفونسو السادس سعى لتعظيم الخلاف والتراع بينهما.

أما عند حديثنا عن الحماية العسكرية فنجد أن الممالك النصرانية بادرت إلى اعتماد سياسة الحماية ونظام الجزية كمنطلق لتكوين ثروتها المادية، دون أن نستثني أيضا سياسة التحالفات، فكان ألفونسو السادس الحامي لملك طليطلة الضعيف، فتدخل لإعادته إلى حكم طليطلة نظير مبلغ ضخم من المال، وحصون أيضا لا شك أنها تمثل الخط الدّفاعي للمدينة[3]، وفرض عليه مائة وخمسين ألف مثقال وخمسمائة مُدي من الطعام ضيافة لكلّ ليلة مدّة مقامه عليه[4]، وذات الشأن مع عبد الله بن بلكين الذي أشار إلى ذلك صراحة[5]، وعلى كلٍّ فغالبا ما كان أداء مستحقات الجزية رمزًا للحماية [6]، كذلك لم يختلف نهج السيد عن ملوكه النصارى من ذلك دخوله في خدمة المؤتمن (474– 478هـ/ 1081– 1085م) والذّب عنه ضد منافسيه والمعتدين عليه، غير أنه ما لبث أن اشتّد ساعده وتوسع نفوذه "فكان لا يبرم أمرًا من أعمال الحرب أو السياسة

[1]– ابن حيان برواية ابن بسام، المصدر السابق، ق2، مج 2، ص/650.

[2]– المصدر السابق، ص/182.

[3]– رينهرت دوزي، المرجع السابق، ج 3، ص/125.، ابن بسام، المصدر السابق، ق4، مج1، ص/ 162– 163.ابن كردبوس وابن الشباط، المصدر السابق، ص/79.

[4]– عبد الله بن بلكين، المصدر السابق، ص/78.

[5]– المصدر نفسه، ص/74– 75.

[6]– محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج 2، ص/115، 288.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

دون مشاورته ...، بل غدا بحلفه ومعاونته على سرقسطة يفرض نوعا من الحماية"[1]، وكذا عقده الاتفاق مع القادر لحمايته في بلنسية من سائر أعدائه فأمده بالأموال والتحف، وتعهد أن يدفع له كل أسبوع ألف دينار، وبأداء الجزية بلغت مائة ألف دينار في العام وهو مبلغ طائل في ذلك العصر[2] .

وخلاصة القول أن ملوك النصارى لجئوا إلى اعتماد الحرب الاقتصادية كما أشرنا آنفًا عن طريق سياسات منتهجة كإغراقهم في الأزمات المالية وتطبيق نظام الجزية وسياسة الحماية العسكرية والتحالفات، فما لبثوا حتى خارت قواهم وضاعت بلادهم مقر سلطانهم ومأواهم .

6. النتائج المترتبة عن الحروب الاقتصادية للممالك النصرانية ضد دويلات الطوائف في الأندلس.

كان للحرب الاقتصادية التي وجهتها الممالك النصرانية ضد دويلات الطوائف خلال القرن الخامس الهجري آثار على المستوى السياسي وكذا الاجتماعي والاقتصادي نبرزها فيما يلي:

6 .1 على المستوى السياسي:

– ضعف دويلات الطوائف وتشتتها علاوة على تصارعها مما أدَّى إلى اللاإستقرار السياسي.

– تزايد المد النصراني وخروج عديد المدن عن سلطان المسلمين، حيث ذهب الدوزي للقول أن فريناند ملك قشتالة كانت له فتوحات عظيمة كما اصطلح عليها

[1] – المرجع نفسه، ج2، ص/286.
[2] – المرجع نفسه، ج 2، ص/238.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

فانتزع من المظفر أمير بطليوس مدينتي "بازو" و"لاميجو"عام (449هـ/1057م)، واستخلص من أمير سرقسطة القلاع الموجودة جنوب نهر "دويره "، وتقدم حتى قلعة الحنش[1] التابعة للمأمون بن ذي النون[2]، كما مد يده فيما بعد إلى مدينة قلمرية فحصارها وطرد أهلها [3]، وسقطت فيما بعد مدينة طليطلة عام (478هـ/ 1085م)، لذا يمكن القول أن حدود القديمة الفاصلة بين الأندلس ونصارى الشمال أصبحت غير مستقرة خلال القرن الخامس الهجري حيث أخذت الممالك النصرانية تدفع نحو الجنوب بما يحقق أهدافها في المنطقة كلّها [4] .

6 .2 على المستوى الاجتماعي والاقتصادي:

– تضعضع اقتصاد دويلات ملوك الطوائف وتراجعه بفعل السياسات المطبقة لاستتراف ثرواته وموارده المالية بدءًا من نظام الجزية الذي طال أمده وسياسة التدخلات العسكرية لحساب أحد دويلات ملوك الطوائف في نزاعاتهم الداخلية مقابل أموال جمَّة، إلى سياسة انتساف المزروعات وتخريب المدن والأرياف من خلال غاراتهم التخريبية [5] .

[1]– **قلعة الحنش:** (Alcala de hénarés) أو حصن الحنش تقع هذه البلدة في جنوب ماردة (**mérida**) منحرفة إلى الشرق على بعد عشرين كيلومترًا، ينظر: ابن حيان، المصدر السابق، (إحالة 578) ص/632.

[2]– رينهرت دوزي، المرجع السابق، ج1، ص/79.

[3]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص/229.

[4]– محمد حصباية، المرجع السابق، ص/92.

[5]– ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص/143، ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص/287، أمحمد بن عبود، المرجع السابق، ص/118– 121.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

– الاستيلاء على الأراضي الزراعية، حيث أقطع القادر جنود النصارى عوضًا عن رواتبهم المتأخرة إقطاعات واسعة في مملكة بلنسية [1].

– كان الحصار أسوأ السياسات المطبقة التي عانت منها ساكنة بلاد الأندلس، كالذي جرى مع مدينة طليطلة[2] وبلنسية، من ارتفاع الأسعار، وانتشار الجوع، فأكل الناس الجلود والدَّواب والفئران والقطط وحتى جيف بني آدم واستحكم الوباء بين الساكنة المحاصرة في بلنسية[3] والظاهر أن الحروب المتوالية على أهل الأندلس من قبل النصارى أو حروبهم الداخلية، قد أدّت إلى انتشار الطاعون خلال فترات متفرقة من القرن الخامس الهجري، وهو ما يمكن أن نستشفه من بعض الكتب التراجمية [4].

– تفاقم الأزمات الاجتماعية كانتشار الفقر بين الرعية نتيجة للمغارم التي كان حكامهم يغرمونهم إياها[5]، والهجرة الداخلية والخارجية التي ترتبت عن غياب الأمن وتهجير الفلاحين عن مدنهم وأراضيهم، بخاصة المدن الثغرية المجاورة لبلاد النصارى، وتنبه ابن عذارى إلى تفاقم هذا الأمر فقال: "فذهبت أموال أكثر أهل طليطلة بتكرّر الغارات

[1]– رينهرت دوزي، المرجع السابق، ج3، ص/128.

[2]– ابن بسام، المصدر السابق، ق4، مج1، ص/162–164.

[3]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص/38– 39.

[4]– ابن بشكوال، **الصلة**، تح إبراهيم الأبياري، ط1، ج1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1989، ترجمة {389}، ص/270.

[5]– ابن بسام، المصدر السابق، ق2، مج1، ص/253– 254.ق3، مج1، ص/19، ابن كردبوس وابن وابن الشباط، المصدر السابق، ص/77.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

عليهم، وفشَّت جوائحهم وجلا كثير من أهل ضياعهم وأطرافهم إلى قاعدتهم"[1]، مما يدل على مدى تأثر الأرياف بهذه الغارات.

– تأثر الفئة الحرفية والصناع بالحروب وحصار المدن، ومن ذلك حصار بلنسية عام (456هـ/1063م) (وقعة بطرنة) حيث "تنادى بالنفير مهنَتُهم وصنّاعهم"[2] ولا شك أن ذلك عن طريق الهروب من المدينة والهجرة خارجها، ولا يستبعد أن الكثير منهم قضى نحبهم في الفاجعة التي حلت بهم بكمن العدّو لهم، كما أن مصادر المرحلة تشير أن هذه الفئة من المجتمع شاركت في الفتنة التي عاشتها الأندلس مطلع القرن الرابع الهجري، وجاء السيف على الكثير منهم[3].

– تراجع النُّمو الدّيمغرافي نتيجة سياسة التقتيل التي عكف عليها ملوك النصارى في غاراتهم وحصاراتهم وتدخلاتهم العسكرية وأشار إلى ذلك أمير بطليوس عمر المتوكل في رسالته لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين: "واضطرمت في كل جهة نارهم، ورَوِيَت من دماء المسلمين أسنَّتُهم وشفارهم"[4] كالذي فعله النصارى في وقعة بَطرنة حيث ارتكبوا مجزرة رهيبة في حق بلنسيين[5].

[1]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص/280.

[2]– المصدر نفسه، ج3، ص/252.

[3]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص/52، 74، 81، 88. ابن بسام، المصدر السابق، ق1، مج1، ص/43– 44.

[4]– ابن بسام، المصدر السابق، ق2، مج2، ص/ 654.

[5]– ابن عذارى، ج3، ص/226، 252.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

– تردّي القطاع الاقتصادي عمومًا نتيجة الأسباب السالف ذكرها، بل حتى أن التَّوسعات النصرانية داخل الأندلس بلغت بهم إلى التحكم "في عملية سير القوافل المارة بين مدن شرق الأندلس وعلى رأسها مدينتي مرسية وغرناطة "[1].

7. الخاتمـــة:

أمكننا من خلال دراستنا الموسومة بـــ "**الحرب الاقتصادية للممالك النصرانية ضدَّ ملوك الطوائف في الأندلس خلال القرن 5هـــ/11م**"، الخروج بالنتائج الآتية:

– ارتبط تطبيق سياسة الحرب الاقتصادية الموجهة من قبل الممالك النصرانية بظروف البلاد الأندلسية مطلع القرن الخامس الهجري أين كانت تعاني التفكك السياسي وغياب الضبط السلطوي، مما أتاح للنصارى الاستثمار في الأوضاع الطارئة وأفسح لهم المجال للتدخل في الشؤون الداخلية للأندلس.

– اتخذت الحرب الاقتصادية النصرانية ضد ملوك الطوائف أشكالاً عدَّة، واستعانت بوسائل فعالة لتحقيق هدفها المنشود في استرجاع الأندلس، وكانت مملكة قشتالة الموجه لهذه الحرب والمغذي لها، حيث رأينا مدى تصاعد وتيرة هذا النوع من الحروب في عهد فرديناند الأول وكذا ألفونسو السادس فيما بعد كتتمة لسياسة أبيه، لذا يمكن القول أن الممالك النصرانية أتقنت فن إدارة الصراع بدءًا من القرن الخامس بإدراكها لأهمية الحرب الاقتصادية وعليه فإننا نعتقد أن حرب الاسترداد بدأت في ثوب الحرب الاقتصادية كمنطلق لاسترجاع الأندلس.

[1]– محمد حصباية، المرجع السابق، ص/89.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

– قادنا تتبع الحرب الاقتصادية للممالك النصرانية ضدَّ ملوك الطوائف إلى رصد ضخامة النفقات المالية التي استترفت منهم تحت سياسات شتَّى مما أدَّى إلى تهلهل البنية الاقتصادية والتَّذمر الشعبي الواسع لما آل إليه وضعه.

– كان سياسة الحصار العسكري والاقتصادي من أنجع وسائل الحرب الاقتصادية إذ ضيقت على المدينة المحاصرة وأتلفت خيرات أريافها وبواديها، كما استحوذت على ثروات ساكنتها عقب اقتحام المدن المحاصرة.

– جاءت الحرب الاقتصادية التي انتهجتها الممالك النصرانية كتكملة لسياسة الحرب السياسية والدينية ضد الوجود الإسلامي في الأندلس، لذا فلا يجب تغييب فعاليّة هذا النوع من الحروب في ترجيح كفة الصراع خلال القرن الخامس الهجري ذلك أن: "أن الحرب الاقتصادية ذات أهمية مساوية لأهمية القوات المسلحة، وهي تبدأ قبل الأعمال العسكرية، وقد تقوم مقامها في فرض موقف معيّن على العدّو، كما أنها تستمر خلال الأعمال الحربية وتمتد بعد انتهائها حتى تنجز الدولة الأهداف التّي قامت الحرب من أجل تحقيقها"[1].

– تسببت سياسة ملوك الطوائف اللاَّواعية بواقعها المتأزم وتربص الممالك النصرانية بها في تفاقم أوضاعها الاقتصادية، مما عجل بسقوط ملكها .

– قائمة المصادر والمراجع:

– المصادر:

1. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

[1]– غازي بن سالم، المرجع السابق، ص/258.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

2. ابن الآبار، **الحُلَّة السَّيراء**، تح حسين مؤنس، ط2، ج2، دار المعارف، القاهرة، 1985.

3. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ط1، مرا محمد يوسف الدقاق، مج8، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

4. ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، مج1، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973.

– **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلّق بذلك من الكلاّم**، د.ط، ج2، تح سيّد كسّروي، دار الكتب العلمية، بيروت.

5. ابن الدَّلائي، **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك**، تح عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، د.ت.

6. ابن بسام، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تح إحسان عباس، ق2، مج 1، دار الثقافة، لبنان، 1997.

ابن بشكوال، **الصلة**، تح إبراهيم الأبياري، ط1، ج1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1989.

7. ابن حزم، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تح إحسان عباس، ط2، ج3، المؤسسة العربية للدّراسات والنشر، بيروت، 1987.

8. ابن حيان، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، تح محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973.

9. ابن خلدون، **المقدمة**، مرا سهيل زكار، دار الفكر، للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2001.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

10. ابن سهل، **الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى**، تح نورة محمد عبد العزيز التويجري، ط1، ج2، د.د.ن، 1995.

11. ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح ومرا ج.س .كولان وإليفي بروفنسال، ج3، دار الثقافة، بيروت، د.ت .

12. ابن كردبوس وابن الشباط، **تاريخ الأندلس لابن كردبوس ووصفه لابن الشَّباط – نصان جديدان –**، تح أحمد مختار العبادي، معهد الدّراسات الإسلامية، مدريد، 1971.

13. البكري، **المسالك والممالك**، تح أدريان فان ليُوفن وأندري فيري، ج2، دار الغرب الإسلامي، د.ب.

14. **ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب**، تح إ.ليفي بروفنسال، مج 2، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، د.ت.

15. الحميري، **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، ط2، دار الجيل، بيروت، 1988.

16. الزهري، **الجغرافية**، تح محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدّينية، القاهرة، د.ت.

17. عبد الله ابن بلكين، **مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك غرناطة (المسماة بكتاب التبيّان)**، تح إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1955.

18. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004.

19. مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

20. المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح محمد سعيد عريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتّحدة، د.ت .

21. المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط2، دار صادر، بيروت، 1906.

22. المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح إحسان عباس، مج 3، دار صادر، بيروت، 1988.

23. المقريزي، **شذور العقود في ذكر النقود**، جامعة الملك سعود، 1957.

– المراجـــع:

1. أمحمد بن عبود، **جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري**، المعهد الجامعي للبحث العلمي، تطوان، 1987.

2. أنور محمود زناتي، **دور الفقهاء في الأندلس علميًا–سياسيا–اقتصاديا–اجتماعيا–ثقافيا(448–541هـ/1056–1148م)**، مؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية، 2016.

3. بوقاعدة البشير، **فن الحصار في بلاد المغرب الإسلامي بين القرنين الرابع والثامن الهجريين (10 – 14 م)**، ط1، دار الأيام للنشر والتوزيع، الأردن، 2019.

4. توفيق مزاري، **النشاط البحري بالغرب الإسلامي في عهدي الموحدين والمرابطين**، ط1، ج1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

5. حسن محمد قرني، **المجتمع الريفي في الأندلس في عصر بني أمية (138–422ه/756–1031م)**، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2012.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

6. خالد بن عبد الله الشمراني، **المقاطعة الاقتصادية حقيقتها وحكمها**، ط1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1426هـ.

7. داود عمر سلامة عبيدات، **الموحدون في الأندلس: المغرب والأندلس مابين سنتي (541–667هـ/1146–1268م)**، دار الكتاب الثقافي، الأردن، د.ت.

8. دوزي، **المسلمون في الأندلس**، ج3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995.

9. رابح رمضان، **النشاط التجاري بالأندلس خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الملاديين**، جامعة وهران السانية، 2007– 2008م.

10. سمير مزرعي، **السّلطة والمجتمع في عصر ملوك الطوائف خلال القرن 5ه/11م**، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2017–2018.

11. عابد بن عبد الله السعدون، **المقاطعة الاقتصادية – تأصيلها الشرعي – واقعها والمأمول لها –**، ط1، دار التّابعين للنشر والتوزيع، الرّياض، 2008.

12. غازي بن سالم بن ساقي الحربي، **اقتصاديات الحرب في الإسلام**، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1989.

13. فضيل بوالصوف، **العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف .ق5هـ/11م**، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010– 2011.

14. فهد خليل زايد، **عبقرية الإنتصار في المعارك وفتح الأمصار**، ط1، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمّان، 2013، عمان، 2013.

15. قاسم عبد سعدون، **السيد القمبيطور ودوره في أحداث بلنسية**، مجلة أبحاث ميسان، مج10، ع20 2014.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-031
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 990–1038 تاريخ النشر: 10–05–2022

16. ليفي بروفنسال، **الإسلام في المغرب والأندلس**، تر السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2012.

17. محمد حصباية، **الممالك المسيحية شمال الأندلس وعلاقاتها بملوك الطوائف خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي**، رسالة ماجستير جامعة الجزائر، 2010–2009.

18. محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997.

19. مراد تجنانت، **ملامح عن تقلبات قيمة النقود بالأندلس في القرنين 5 و6 الهجريين (11–12م) وتأثيراتها الاقتصادية والاجتماعية**، مجلة المعارف للبحوث والدّراسات التاريخية، مج3، ع 2، 2017 .

20. ندا أحمد الشمسي، **التأثير الحضاري المتبادل بين مسلمي الأندلس والنصارى الإسبان في العصر الإسلامي "92–897هـ/711–1492م"**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2015.

– المراجع الأجنبية:

1. R.Dozy**, Histoire des musulmans d'Espagne jusqu'à la conquete d l'andalousie par les almoravide (711-1115**), librairie et imbrimerie, leyde.

2. V. jaquement, **Récits Espagnols- la vie du cid- suliviede la conquête de grenade,** libraire internationale, baris, 1870 .

3. Xerif Aledris ,**Dexription de Espana**, con traduction y notas, de don josefantion conde, de la real biblioteca , madrid.